حقوق الإنسان والديمقراطية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ
وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ
لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ
أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾

سورة الحجرات، الآية ١٣

صدق الله العلي العظيم

الجذور الراسخة لهذه الحقوق في تُراثنا الإسلاميّ العظيم، وتستعرضُ كيفيَّة تكريسها في الدستور العراقي والقوانين الوطنية. كما يتناولُ هذا البابُ بالتفصيل حقوقَ الفئات الأكثر حاجة للحماية، ويتصدَّى لدراسة الانتهاكات الجسيمة التي شهدها العراق والعالم، ويختتمُ بعَرض آليات الحماية الدوليَّة والوطنيَّة والتحديات المعاصرة التي تواجه منظومة حقوق الإنسان.

البابُ الثاني: الديمقراطية، يُمثّلُ هذا البابُ دراسةً لـ "هندسة الحُكم الرَّشيد". تنطلقُ الرّحلةُ من الأصول التاريخيَّة لفكرة الديمقراطيَّة في أثينا القديمة، مرورًا بتطوّرها في العصر الحديث، ثم تنتقلُ إلى تحليل بنيتها المؤسسيَّة القائمة على الفصل بين السلطات، والانتخابات، والأحزاب السياسية، والمجتمع المدني. كما يستعرضُ هذا البابُ المبادئ المجتمعيَّة التي تسندُ الديمقراطية، كسيادةِ القانون، ودور الإعلام الحر، ويختتمُ بتحليلٍ مُقارن للأنظمة الديمقراطية المختلفة، مع تخصيص مساحة واسعة لدراسة التجربة الديمقراطيَّة العراقيَّة بعد عام ٢٠٠٣م، بكلِّ مقوماتها وتحدّياتها.

إنَّ هذا المنهجَ، بتناوله المُزدوج للمبادئ العالميَّة وتجلّياتها في السياق الإسلاميّ والعراقيّ، إنَّما يسعى إلى "توطين" هذه المفاهيم، وإثباتِ أنَّها ليسَتْ أفكارًا مُستوردة، بل هي تطلُّعاتٍ إنسانيَّةٍ عالميَّةٍ تجدُ صداها وتعبيراتها الخاصة في عُمق هويتنا وثقافتنا وتاريخنا.

الغايةُ النهائيَّةُ: نحو ثقافة الحقوق والمشاركة

في الختامِ، نؤكّدُ أنَّ الغايةَ من هذا الكتابِ تتجاوزُ حدودَ قاعات الدَّرس؛ إنَّها تهدفُ إلى المُساهمة في بناءِ "ثقافةٍ" مجتمعيَّةٍ راسخة، ثقافةٍ قِوامُها احترامُ حقوق الإنسان، والإيمانُ بالديمقراطيَّة كسبيلٍ وحيد لتحقيق العدالة والاستقرار والازدهار. إنَّنا لا نُقدِّمُ لكم إجاباتٍ نهائيَّة، بل نفتحُ أمامكم أبوابَ التساؤل والبحث والنِّقاش، ونضعُ بين أيديكم الأدوات المعرفيَّة التي تُمكّنكم من أنْ تكونوا مشاركين فاعلين، لا مجرّد متفرّجين، في مسيرة بناء العراق الذي يليقُ بتضحيات أبنائه وتطلّعات أجياله.

تمهيـد

شغلَتْ قضيَّةُ الكرامةِ الإنسانيَّة وحماية الحقوق الأساسيَّة حيّزًا مركزيًّا في الفكر البشري عبر العصور، إلّا أنَّها اكتسبت بُعدًا عالميًّا وقانونيًّا غير مسبوق في العصر الحديث. يهدفُ هذا البابُ من الكتاب إلى تقديم دراسةٍ شاملةٍ ومتكاملةٍ لمنظومة حقوق الإنسان، تأخذُ الطالبُ في رحلةٍ معرفيَّة، تبدأُ من المبادئ الفلسفية الكبرى إلى آليات التطبيق العمليَّة، مع التركيز على السياقين الدّوليّ والعراقيّ. لقد صُمِّمَ هذا البابُ على وفق منهجيَّةٍ مُتدرّجة تهدفُ إلى بناءِ فهمٍ عميق ومنظَّم لهذا الحقل المعرفي الحيوي، الَّذي يمسُّ جوهرَ وجودنا كأفرادٍ ومجتمعات.

تبدأُ رحلتنا في **الفصل الأول** باستكشاف الأُسس النظريَّة والمفاهيميَّة لحقوق الإنسان. سنتناول في هذا الفصل تعريف الحقوق وخصائصها الأصيلة؛ مثل: العالميَّة، والتكامل، وعدم القابلية للتجزئة، وسنستعرضُ أنواعها المختلفة، من الحقوق المدنيَّة والسياسيَّة إلى الحقوق الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة والثقافيَّة، وصولًا إلى حقوق التضامن الحديثة. كما سنسلّطُ الضوء على المكانة الرفيعة التي أولتها الشريعة الإسلاميَّة لحقوق الإنسان، وكيفيَّة تكريس الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ لهذه الحقوق، كجُزءٍ أساس من بنيته القانونيَّة. وسيختتمُ هذا الفصلُ بتقديم "الشرعة الدوليَّة لحقوق الإنسان"، المتمثّلة في الإعلان العالمي والعهدين الدّوليّين، بوصفها المرجعيَّة الأخلاقيَّة والقانونيَّة التي يستندُ إليها القانونُ الدَّولي لحقوق الإنسان.

بعد إرساء هذه القاعدة المفاهيميَّة العامَّة، ينتقلُ **الفصلُ الثاني** للتركيز على "الحقوق الفئويَّة والخاصَّة"، إيمانًا بأنَّ مبدأ العالمية يتطلّبُ اهتمامًا خاصًّا بالفئات التي قد تكون أكثر عرضةً للانتهاك أو التهميش. سنتناولُ في هذا الفصلِ المواثيق الدوليَّة الرئيسة التي وُضعت لحماية حقوق المرأة (اتفاقيَّة سيداو)، وحقوق الطفل (اتفاقية حقوق الطفل)، وحقوق الأشخاص ذوي الإعاقة، وحقوق الأقلّيّات. كما سيتمُّ تحليلُ الآليات الوطنيَّة التي اعتمدها العراقُ لتطبيق هذه الاتفاقيات، وتقييم مدى مواءمة التشريعات الوطنيَّة مع المعايير الدوليَّة في هذا المجال.

وفي **الفصل الثالث**، نواجهُ جانبًا أكثر قتامةً، وهو "الانتهاكات الجسيمة لحقوق الإنسان". يستعرضُ

يختلفُ مفهوم حقوق الإنسان عن الشَّرعة الدَّوليَّة لحقوق الإنسان، ومن أجل الوقوف عند تعريفٍ محدَّدٍ لهما، وبيان الأحكام المتعلّقة بهما، سنتناول ذلك في المبحثين الآتيين:

المبحث الأوَّل
التَّعريفُ بحقوق الإنسان والآليات الوطنيَّة والإجرائيَّة لتطبيقها

سنُبيّن تعريف حقوق الإنسان وأهميَّتها وأنواعها وتطوّرها في المطلب الأول، فيما سنوضح الآليات الوطنيَّة والإجرائيَّة للتطبيق العملي لحقوق الإنسان في المطلب الثاني، وعلى النَّحو الآتي:

- **المطلب الأوَّل: تعريف حقوق الإنسان وأهميَّتها وأنواعها وتطوّرها:**

سنتناول فيه تعريف حقوق الإنسان وبيان أهميَّتها، وأنواعها، وموقف الدستور العراقي والشريعة الإسلامية منها، مع استعراض التطوّر التاريخي لهذه الحقوق في الفروع الآتية:

الفرع الأول: تعريف حقوق الإنسان وخصائصها:

أوَّلاً: **تعريف حقوق الإنسان:** تُعرَّف حقوق الإنسان بأنَّها مُكنات وَمَزَايَا ورُخَص يستأثرُ بها الإنسانُ من أجل العيش بكرامته وإنسانيَّته مع أبناء جنسه في كيانٍ قانونيّ وسياسيّ يُسمَّى "الدَّولة"، يكتسبه الإنسان بحكم إنسانيَّته، وتعملُ القوانين على حمايتها وصيانتها من الانتهاك أو المصادرة. كما تُعرفُ حقوقُ الإنسان بأنَّها تلك الحقوق المتأصِّلة في جميع البشر، والَّتي تضمنُ لهم الكرامة والحُرّية والحماية من التعسُّف، وتستمدُّ مشروعيَّتها من طبيعتهم الإنسانيَّة، وتكفلها القوانين الوطنيَّة والدَّوليَّة على حدٍّ سواء[1].

---

(١) تنص المادة (١) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام ١٩٤٨ (يولد جميع الناس أحراراً ومتساوين في الكرامة والحقوق. وهم قد وهبوا العقل والوجدان وعليهم أن يعاملوا بعضهم بعضاً بروح الإخاء).